كشف الظنون

في

فوائد المتون

للطبيب الحافظ الجامع سمير بن مصطفى عبد النافع

بسم الله الرحمن الرحيم

===((كشف الظنون في فوائد المتون))===

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، و على آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن طلب العلم من أفضل الأعمال التي يتقرب العبد بها إلى الله - سبحانه وتعالى - ولما كان الطالب لهذا العلم بحاجة إلى معرفة الأصول التي يضمن بها الوصول إلى رضاء الله تعالى ، وإلى معرفة المتون التي من يحفظها يحوز الفنون؛ وبطلب من بعض أحبابنا ، جمعت هذه الرسالة المختصرة في فوائد حفظ المتون لتكون زاداً لطالب العلم، لأن سلوك هذه الطريقة - بعد عون الله تعالى - هو الذي يجعل الطالب متمكناً في العلم، كما عليه طريقة أهل العلم من سنين طويلة، أما من طلب العلم طلباً مجرداً، من غير عناية بالأصول والمتون، فسرعان ما ينسى ما تعلمه، ولا يحصّل هذا وأمثاله شيئاً يذكر من العلم، ويُعرف مقام الصنفين في حالة البحث و الاستقصاء.

ولما انتشرت العلوم الإسلامية، وبدأ تدوين الكتب، كان لابد من طريقة يحفظ بها طلبة العلم هذه العلوم، حتى تكون في الصدور و الأفهام . فكانت المتون ، وقد درج العلماء على حفظها وتدريسها للطلبة . وتخلو المتون عادة من كل ما يؤدي إلى الاستطراد أو التفصيل، كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة، وذلك حتى يسهل حفظها، فالمتون قليلة الألفاظ ، كثيرة المعاني، حسنة العبارة .

وكان الغرض من المتون هو جمع المسائل الأولية البسيطة في متون صغيرة، بعبارة سهلة، لتكون البداية لطالب العلم، لكنها ليست كلها كذلك، فبعض المتون موجز جداً إلى درجة أنه أصبح كاللغز، وبعض المتون متخصص جداً لا يفهمه إلا من نال قسطاً وافراً من العلوم... بينما كتبت بعض المتون لتذكرة المنتهين، واستغرقت بعض المتون علوماً كاملة، فسميت بالألفيات.

فماهي المتون؟

المتن لغة : (بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية)

يطلق على عدة معان ، منها : اللفظ.

- المتن اصطلاحاً : هو ما يجمع المبادئ الأساسية لفن من الفنون، نظماً كان أو نثراً ، بإيجاز وإجمال في الألفاظ ، مع كثرة المعاني وسهولة اللفظ وحسن العبارة. ويطلق على المتن : المختصر.

وعرفه الطيبى : هو ألفاظ الحديث (أي العلم) الذي تقوم به معانيه.

وعرفه الامام ابن جماعه (من علماء الحديث): ما ينتهى إليه غاية (السند) من الكلام وهو من المماتنه أي المباعدة في الغاية لأنه غايه الكلام او غاية السند عند أهل الحديث . ويطلق المتن أيضاً على ما علا وصلب من الأرض ، لأنّ القائل يرفع به العلم إلى أصوله التي انبى عليها حتى يظهره لطالبيه. وعرفت المتون بأنها مختصرات تحتوي على كثير من المعاني بعبارات سهلة جميلة قليلة الألفاظ ليسهل حفظها . والغرض منها جمع المسائل بعبارات سهلة وتختلف من متن لمتن فمنها ما هو موجز جداً ومنها مالا يفهم إلا من طالب العلم الذي نال قسطاً وافراً من العلوم وبعضها للتذكرة والموعظة ومنها ما حوى علوماً كثيرة .

ولما كانت المتون في الكثير الغالب موجزة وضِعت عليها : الشروح و التقريرات والحواشي.

الشرح : هو شرح ألفاظ المتن كاملة، وتفصيل مجمله ، وبيان ما فيه من مسائل.

الحاشية : هو التعليق على الشرح، وبيان بعض غوامضه ، والاستدراك عليه في بعض المسائل.

التقرير : هو يكون على الشرح و تفصيل الغامض فيها، أو الاستدراك عليها.

- فمن حفظ المتون حاز الفنون ، فالذي يحفظ المتن ويفهم ما فيه من معاني يكون حافظاً لذلك الفن، مستحضراً لمسائله وأدلتها في أي وقت، من غير حاجة إلى كتاب.

- ومن حفظ الأصول ضمن الوصول، فالمتن هو الأصل والأساس، ومن حفظ هذا الأصل وصل إلى مراتب كبار العلماء.

- ومن لم يتقن الأصول حُرم الوصول. فمن فرط وترك حفظ المتون وفهمها حرم أن يكون في ركاب العلماء.

- يساعد المتن على الضبط والإتقان للعلم. وحفظه يساعد في تقوية الذاكرة.

ودراسة العلم عن طريق حفظ المتون هو الطريق الصحيح لأن حفظ المتون فيه فوائد :

الفائدة الأولى : أن المتن يحفظ طالب العلم من الضياع، فتجد الذي يطلب العلم على هذه المتون تجده يقطع سفره في طلبه للعلم مرحلة مرحلة. فيتكون لديه صورة مجملة للفن الذي ألفت فيه ، و يستطيع الطالب الإحاطة بها في زمن قليل ، وماهي إلا مدخل للعلوم ، وليست هي الغاية وإليها النهاية ، بل هي الأساس والبداية.

الفائدة الثانية: أن أخذ العلم عن طريق هذه المتون هو طريقة العلماء السابقين ، طريقة من سلف من العلماء.. فقد كانوا يربون تلامذتهم على مثل هذه المتون يقرؤنها لهم ويشرحوها ويبينوها.. إلى آخره..

ومن كان مستنتاً فليستن بمن مات، وهكذا وصل العلماء السابقون إلى ما وصلوا إليه عن طريق هذه المتون.

الفائدة الثالثة: أن هذه المتون تعتبر زبدة فنون العلم. فكل فن من فنون العلم عَصَرَه العلماء حتى أخرجوا هذه الزبدة.

فمثلا عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة عندهم جملة من المتون هذه المتون تعتبر زبدة لفقه ذلك المذهب. ومثل ذلك أيضاً في

سائر فنون العلم فمثلاً في علم العقيدة هناك متون كثيرة: ككتاب التوحيد فإنه يعتبر زبدة فيما يتعلق بتوحيد الألوهية وما يجب لله سبحانه وتعالى من إفراده بالعبادة. والعقيدة الواسطية تعتبر زبدة في معتقد أهل السنة والجماعة وما يكون من العقائد التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. ومثله أيضاً لمعة الاعتقاد ومتن الطحاوية.. وغير ذلك.

وأيضاً في مصطلح الحديث تجد أن نخبة الفكر... تعتبر زبدة في هذ الفن.. ومثله الورقات في أصول الفقه للجويني.. وغير ذلك من هذه المتون التي عني العلماء بتأليفها. فكون الطالب يلم بهذه المتون يكون ألم بجملة العلم.

الفائدة الرابعة: أنها تختصر له العلم فمثلاً إذا درست نخبة الفكر فإنها تختصر لك علم مصطلح الحديث في هذه الورقات التي لا تتجاوز (صفحاتها) أصابع اليد. فالذين يحيطون بالمتون ويتقنونها ولا يشتكون منها أقرب إلى الابتكار وإلى الاجتهاد من غيرهم ، ومن قال عن المتون: إنها غامضة وعميقة قد يكون كلامه هذا من عدم القدرة على الفهم.

الفائدة الخامسة: أن الطالب إذا كان له متن يتعلمه ويسير عليه ويتربى عليه يتمكن من مراجعة العلم عن طريق هذا المتن فيرجع إلى هذا المتن وما علق عليه وما فهمه من ألفاظه وعباراته ونحو ذلك..

ثانياً : لماذا المتون العلمية ؟

المتون العلمية لها ميزات ليست لغيرها منها :

أولها: سهلة الحفظ ، ومن المعلوم أن الحفظ في زمن طلب العلم من المقومات العظيمة لرفعة طالب العلم وخاصة إذا تقدمت به السن.

ثانيها: أنها تختصر المعلومات الكثيرة في كلمات قليلة.

ثالثها: أنه لا توجد تجارب سابقة لصياغة مناهج علمية غير المتون الموجودة بين أيدينا.

رابعها: أن هذه المتون تخرّج عليها علماء أجلاء، أجمع الناس على جلالة فقههم وغزارة علمهم، ومنهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله – والشيخ العلامة محمد بن عثيمين – رحمه الله تعالى.

أنواع المتون

تنقسم المتون إلى نوعين :

١- متون منثورة، وهي الأكثر.

٢- متون منظومة في أبيات شعرية، ويسمى الشعر التعليمي، وتكون غالباً من بحر الرجز، وقد تكون من غيره. ومثالها: متن تحفة الأطفال في التجويد.

وبحر الرجز من بحور الشعر العربي، وتسمى قصائده الأراجيز، واحدتها أرجوزة، ويسمى قائله راجزاً، ويتسم بحر (الرجز) بجمال الإيقاع وبساطته، مما يساعد على الحفظ. وقد قالوا : الرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام، وكتاب لسانهم، وخزانة أنسابهم وأحسابهم، وذلك لكثرة ما يتداول بينهم.

وهذا النوع من النظم (المتون- الشعر التعليمي) نظم علمي يخلو غالباً من العواطف، والخيال ، ويقتصر على الأفكار، والمعلومات، والحقائق العلمية المجردة.

من أهم المتون

- متن تحفة الأطفال في التجويد.
- متن الجزرية في التجويد .
- متن السلسبيل الشافي في تجويد القرءان .
- متن البيقونية في مصطلح الحديث .
- نخبة الفكر في مصطلح الحديث .
- الآجرومية في النحو.
- ألفية ابن مالك في النحو والصرف.
- كيف تحفظ المتن ؟

أفضل طريقة لحفظ المتن، هو تصحيح النطق لقسم من أبياته (خمس أبيات أو عشر) على يد المدرس أو الأستاذ، مع فهم ودراسة ذلك القسم، ثم حفظه، وهكذا حتى ينتهي الطالب من المتن كله :حفظاً وفهماً ودراسةً. ولا بد للطالب أن يراجع ما حفظه من المتن، ويكثر من قراءته غيباً حتى لا ينساه.ومن أفضل طرق المراجعة أن يقرأ طالب غيباً (عن ظهرقلب)، ويستمع إليه زميله، وهو ينظر في نص المتن، ثم يتبادلان فيقرأ الثاني غيباً، وينظر الأول في الكتاب، وهكذا.

قال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى : " من الأبواب مالو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي والضعيف لفعلنا ، ولكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا ". وقال بعضهم عن المتون:" حفظتْ من العلم جوهره ولبابه ". والناظر في تراجم العلماء ، وكيفية طلب العلم بالنسبة لهم ، يدرك تماماً صحة هذه الطريقة. فهذا الأسلوب من التصنيف الذي يربي فضيلة البحث ، والتمحيص ، وينمي حلية الصبر والاعتماد على النفس ، ويعوّد على دقة الملاحظة.

فما كان من صواب فمن الله عز و جل و ما كان من خطأ فمن نفسي و الشيطان.

و صلى الله و سلم وبارك على نبينا محمد و آله وصحبه أجمعين.